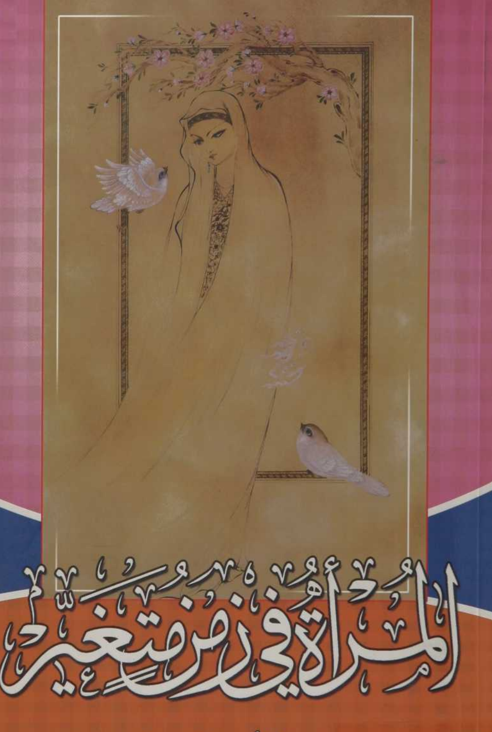


المرأة في زمن متغير

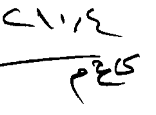
عبدالله أحمد اليوسف




المرأة في زمن متغير



عبدالله أحمد اليوسف





مطبعة خليج آفان

ح عبدالله أحمد كاظم اليوسف، ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اليوسف، عبدالله أحمد كاظم
المرأة في زمن متغير/ عبدالله أحمد كاظم اليوسف ـ القطيف، ١٤٢٤هـ
٩٠ص؛ ٢١سم
ردمك: ٣ـ ٨٥٠ـ ١٠ـ ٩٩٦٠
١ـ المرأة في الإسلام أ ـ العنوان
ديوي ٢٠٩،١ ٥٢٤٢/ ١٤٢٤
رقم الإيداع: ٢٤٢/ ١٤٢٤
ردمك: ٣ـ ٨٥٠ـ ١٠ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

□ مطبعة خليج آفان
□ شرق المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٨٥٦١٥١٠/ ٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾

سورة النساء، الآية ١٢٤



المقدمة

بدأت تتغيّر في حياتنا المعاصرة الكثير من القضايا والأمور، وأصبح التغيّر سمة بارزة من سمات هذا العصر، وذلك بفعل ما تشهده البشرية من تقدّم علمي مذهل في مختلف الحقول العلمية، ولاسيما في مجال المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة حيث حوّلت العالم الفسيح إلى قرية كونية عالمية صغيرة.

وتأسيساً على ذلك، فقد أصبح التأثر بما يجري من حولنا شاملاً، ولم يعد يوجد مكان في عالم اليوم للجمود والانغلاق -وإن شئنا ذلك- في ظل واقع متغيّر ويتغيّر باستمرار وسرعة.

ولأن التغيير لم يقتصر على جانب واحد، بل شمل مختلف جوانب الحياة، فقد أدّت هذه المتغيّرات إلى تغيّرات سلوكية وثقافية وفكرية وحياتية شملت الرجل والمرأة، والشاب والشيخ، والطفل والمراهق على حدٍّ سواء.

كما نتج عن هذه المتغيّرات الجديدة بروز (ثقافة جديدة) وتوليد (تحديات جديدة) لم نعهدها في سابق الأيام؛ وهذا ما يستدعي العمل بجد وتخطيط إلى إيجاد معالجات فعّالة لمواجهة مخاطر هذه التحديات الراهنة، ومن جهة أخرى يجب توظيف الفرص والمكتسبات الجديدة لما فيه خدمة وتطوّر وتقدّم الإنسانية.

والمرأة المسلمة في ظل هذا الواقع الجديد تواجه الكثير من التحديات الجديدة، والمزيد من الفرص والمكتسبات التي يجب العمل على استثمارها، ولكن ذلك يتطلب فهم المتغيّرات أولاً، ومن ثم امتلاك القدرة على التعامل معها بذكاء.

وقد حاولتُ في هذا الكتاب استعراض أهم الأدوار الرئيسة التي يمكن للمرأة المسلمة الملتزمة القيام بها. كما أشرت إلى أبرز التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في الألفية الثالثة، وكيفية تجاوز تداعياتها السلبية. كما سلطتُ الأضواء على الثقافة المعاصرة فيما يخصّ قضايا المرأة وشؤونها، وأفضل الطرق في التعامل معها.

وأخيراً... وليس آخراً أرجو أن يكون في هذه الأوراق البسيطة ما يفيد المرأة المسلمة في القرن الواحد والعشرين وفي كل قرن جديد.

وختاماً... أبتهل إلى الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا الكتاب

في ميزان أعمالي، وأن ينفعني به في آخرتي؛ إنه -تبارك وتعالى- محطُّ الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله ولي التوفيق

عبدالله أحمد اليوسف

الاثنين ١٣/ ٦/ ١٤٢٤هـ

١١/ ٨/ ٢٠٠٣م





الفصل الأول



مدخل

تواجه المرأة المسلمة في الألفية الثالثة تحديات جديدة، وفرصاً جديدة، وقد نشأ ذلك بفعل التطورات المتلاحقة، والتغيرات السريعة في عالمنا المعاصر الذي أصبح يطال كل شيء تقريباً في حياتنا.

وفي عصر العولمة، وثورة المعلومات، وتعدد القنوات الفضائية أصبحت المرأة -كما الرجل- تواجه من التحديات وكذلك من الفرص ما لم يكن معهوداً حتى في الماضي القريب فضلاً عن الماضي البعيد.

وبناء على ذلك، فإن المرأة المسلمة مطالبة بأن ترتقي إلى مستوى التحديات الجديدة، واستثمار كل الفرص المتاحة، وفهم العصر ولغته، والتكيف مع مستلزمات الزمان والمكان؛ مع المحافظة على القيم الدينية والأخلاقية، والهوية الثقافية. ولكي ترتقي المرأة إلى ذلك المستوى، عليها أن تعد نفسها علمياً وعملياً كي تتمكن من مواكبة حركة

العصر ومتطلباته، وتكون مؤثرة في صناعة المستقبل، وفاعلة في رسم خيارات الحاضر، ومساهمة في بناء المجتمع، وتقدّم الأمة.

المرأة بين التهميش والتغريب

عانت المرأة في مجتمعنا ولعقود طويلة من التهميش الاجتماعي؛ مما تسبب في انعزالها وانطوائها وابتعادها عن المسرح الاجتماعي؛ وهذا أدى بها إلى أن تكون طاقة مهملة، وعضواً مشلولاً غير قادر على الإبداع والعطاء والعمل، والاكتفاء بخدمة المنزل والأسرة؛ وهو عمل شريف، وتثاب عليه المرأة بالأجر الجزيل؛ ولكن ينبغي أن لا يقتصر دور المرأة على ذلك الدور؛ فالمرأة يجب أن تكون شريكة الرجل في تحمل المسؤولية، والمشاركة في البناء الاجتماعي، والتنمية الشاملة، وإنماء المجتمع الأهلي. وبدون مشاركة المرأة يكون البناء ناقصاً، والتنمية تعاني من ثغرات وعيوب، فالمرأة نصف المجتمع، وبدون تحملها للمسؤولية سيبقى نصف المجتمع من دون بناء أو تطور أو تقدم ملحوظ.

وتهميش المرأة ناتج من الفهم الخاطئ لتعاليم الدين، وفي أحيان أخرى ناتج من عادات وتقاليد وأعراف تكرست

بمرور الزمن لتتحول إلى ثوابت اجتماعية غير قابلة للنقض والإبرام. كما أن تقاعس المرأة عن المطالبة بحقوقها، والتكاسل عن القيام بواجباتها قد أدى إلى أن تعيش المرأة في الهامش بلا دور حقيقي، وبلا عمل اجتماعي، وبلا فاعلية أو نشاط أو حركة، وهو ما كرس حالة الجهل والتخلف والفقر في الوسط النسائي.

وقد استغل المتغربون هذه الحالة ليطلقوا شعارات (تحرير المرأة) و(تحديث المرأة) وهي شعارات براقة ولكنها تحمل مضامين خطيرة تتنافى مع قيم الدين وتعاليمه. فتحرير المرأة يعني في نظر أصحابها تحريرها من تعاليم الدين وقيمه، أما الحداثة فتعني تحويل المرأة إلى أداة رقص، وخلع رداء الحياء والحشمة، والتمرد على كل الآداب والعادات والتقاليد الإسلامية.

وقد ساهمت وسائل الإعلام الحديثة وخصوصاً مع ظهور البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، وتعدد القنوات الفضائية، وتعاظم دور شبكة الإنترنت العالمية إلى تسويق ثقافات غربية وبالذات فيما يتعلق بالمرأة، حيث تعمل هذه الوسائل الإعلامية وبكل ما أوتيت من إمكانات مادية وتقنية إلى تحويل المرأة إلى مجرد وسيلة إعلامية لترويج الأفكار الفاسدة، وتسويق البضائع والسلع! كما أن الوسائل الإعلامية -في الأغلب الأعم- تسعى جاهدة إلى تحويل تفكير المرأة من الاهتمام بالقضايا المهمة إلى القضايا

الثانوية، والتركيز على الكماليات والقضايا الهامشية في شخصية المرأة كموديلات الألبسة والحقائب والاحذية، وآخر صرعات الموضة، وصيحات الحلاقة...!

وبقراءة سريعة للمجلات النسائية سوف لن تجد في أغلب هذه المجلات المتخصصة ما يحمل فكراً أو ثقافة جادة للمرأة في حين ستجد أن صفحات هذه المجلات مشحونة بثقافة الأزياء والألبسة، وآخر صناعات الماكياج وأدوات الزينة، مع المزيد من الصور الفاضحة، والخالية من أي حياء أو خجل.

وهذا التغريب الذي يمارس ضد المرأة ومن أجلها أكثر سوءاً وضرراً من حالة التهميش التي كانت تعاني منها المرأة.. وهكذا فإن المرأة في مجتمعنا تعاني إما من حالة التهميش المفروضة عليها، وإما من حالة التغريب التي تُساق إليها سوقاً.

وللخروج من حالة التهميش، ومقاومة وسائل التغريب.. على المرأة المسلمة أن تثق بنفسها، وأن تقوي من إرادتها وعزيمتها، وأن تصر على التمسك بقيمها ودينها، وأن تقوم بواجباتها الشرعية والوطنية، وأن تطالب بحقوقها المشروعة.. وبذلك تستطيع المرأة أن تثبت شخصيتها وإنسانيتها ومكانتها المرموقة التي حفظها لها الإسلام الحنيف. كما أنها بذلك تستطيع أداء رسالتها في الحياة ككائن إنساني مبدع وخلاّق ومفكر.



المرأة والفاعلية

تستطيع المرأة أن تقوم بدور فاعل وفعال في جميع مفاصل الحركة الاجتماعية.. ويمكنني أن ألخص أهم محاور الفاعلية الاجتماعية للمرأة في النقاط التالية:

١- تربية الأجيال:

أهم دور يمكن للمرأة أن تتقنه هو تربية الأجيال؛ وذلك من خلال تربية الأبناء الذين هم عماد المستقبل، فالمرأة الصالحة تساهم في بناء جيل صالح، والمرأة الفاسدة مسؤولة -بصورة أو بأخرى- في تنمية جيل فاسد. ومن ثم، تبدو لنا أن مهمة التربية مهمة صعبة وخطيرة، بَيْدَ أن مستقبل الطفل يرسم عندما يكون صغيراً؛ ولذلك فإن المرأة تتحمل مسؤولية خاصة تجاه تربية أبنائها بصورة صحيحة وعلمية ومنهجية.

ومن الخطأ الفاحش أن تتخلى المرأة المسلمة عن تربية أبنائها لصالح تربية الخادمة الكافرة مما يترتب عليه آثار سيئة

للغاية على مستقبل الأبناء، ومن ثم على مستقبل جيل الغد. وإذا ما أرادت المرأة المسلمة تربية أبنائها بصورة صحيحة فعليها أن تتقن أصول التربية، وأن تتثقف بالثقافة التربوية كي تقوم بدورها خير قيام.

٢- ممارسة الأعمال المناسبة:

أثبتت المرأة جدارتها في ميادين العمل، والعمل في الحقـول المناسبة للمرأة كالتعليم والتمريض والحضانة.. وما أشبه، ليس أمراً مطلوباً فحسب، وإنما هو ضرورة وحاجة إنسانية واجتماعية واقتصادية.

لقد أصبحت النساء في مجتمعنا تشكل جزءاً مهماً من قوة العمل الحديثة فضلاً عن القديمة كالزراعة والخياطة والحرف المنزلية المختلفة.

والإسلام الذي يحث على العمل، ويدعو إليه، ويحض عليه، ويثيب عليه بالأجر الجزيل، يشمل الرجل والمرأة، فالإسلام لا يحرم العمل على المرأة -كما يدعي البعض- وإنما يريد من المرأة الالتزام بالحجاب والعفة والحشمة سواء في ميدان العمل أو في غيره. وقد أثبتت التجارب الميدانية في غير موقع من بلاد المسلمين أن الحجاب والاحتشام لا يمنع من العمل، ولا يعيق الأداء الوظيفي الجيد؛ بل أن المرأة المسلمة المتحجبة أثبتت قدرتها الفائقة على أداء وظيفتها بأحسن أداء، نظراً لما تتميز به من

إخلاص وحماس في القيام بوظيفتها على أحسن وجه.

٣- نشر الوعي الثقافي:

للثقافة الواعية دور فاعل في تنمية المجتمع وتقدمه وتطوره؛ إذ لا يمكن تصور تقدم أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية بدون أن ينتشر الوعي الثقافي في فضائه الواسع. كما لا يمكن أن يتقدم أي فرد من دون امتلاك مقدار معقول من الثقافة الثاقبة.

وقد شهد مجتمعنا في الآونة الأخيرة قفزات ثقافية مهمة؛ ولكن يمكن تسجيل أن نسبة الطفرة الثقافية عند النساء لا تزال منخفضة مقارنة بالمستوى الذي وصل إليه الرجال. وعليه، فإن المرأة في مجتمعنا تتحمل مسؤولية عظيمة وكبيرة في تعميم الثقافة.. ويمكن للمرأة المثقفة المساهمة بدور فعال ومؤثر في تفعيل الحركة الثقافية، وذلك من خلال ما يلي:

١ـ تأليف الكتب في مختلف حقول العلم والمعرفة، بما ينمي حركة التأليف والكتابة والنشر في أوساط المجتمع.

٢ـ ممارسة الخطابة لمخاطبة النساء على اختلاف مستوياتهن وتوجهاتهن، فالخطابة لها دور فاعل في تنمية الحركة الثقافية عند مختلف الشرائح الاجتماعية.

٣ـ عمل منتديات ثقافية خاصة بالنساء تناقش فيها

مختلف الأفكار والطروحات الجديدة، بما يُسهم في تنمية المستوى الثقافي في الوسط النسائي.

٤ ـ العمل على إبراز رموز ثقافية نسائية بحيث تكون قادرة على استقطاب الفتيات المتعلمات، وبحيث تتحول هذه الرموز الثقافية إلى مراكز إشعاع ثقافية مؤثرة على الرجال والنساء على حد سواء.

٥ـ وضع خطة لتنمية المهارات الأدبية، وتشجيع المواهب العلمية، وتفجير الطاقات الثقافية الموجودة لدى الفتيات المتعلمات كي يتمكنَّ من الإبداع والابتكار والعطاء في مختلف حقول العلم والثقافة والمعرفة الإنسانية.

٤ـ العمل التطوعي:

يعد العمل التطوعي من الأعمال المهمة في إرساء قواعد التكافل والتعاون الاجتماعي، كما أنه علامة تدل على مستوى تقدم الوعي الاجتماعي. ويمكن للمرأة أن تؤدي دوراً فعالاً في الأعمال التطوعية والخيرية على اختلافها. كما أن الانخراط في العمل التطوعي له فوائد جمة على الشخصية الإنسانية ـ رجلاً كان أو امرأة ـ حيث يزيد من رصيد التجارب عند الإنسان، كما يُسهم في تنمية المهارات، وصقل السلوكيات، وتوكيد الذات، ونيل احترام المجتمع.

وأظن أن المرأة في مجتمعنا لا تزال لم تأخذ موقعها

المناسب في المجال التطوعي والخيري؛ حيث بإمكان المرأة أن تقوم بالكثير من الأعمال التطوعية مما سيكون له أكبر الأثر في دفع عجلة المجتمع نحو التقدم، والنهوض به باتجاه تحقيق واقع أفضل.

ومما لا شك فيه، أن الأعمال التطوعية من الأدوار المهمة التي يمكن للمرأة في مجتمعنا المشاركة الفعالة فيها. وأعتقد أن تطور وعي المرأة لهذه المسؤولية الدينية والاجتماعية سوف يعزز من اندفاع المرأة نحو القيام بواجباتها في ميدان العمل التطوعي.





الفصل
الثاني



مدخل

تعيش المرأة المسلمة في القرن الواحد والعشرين تحديات جديدة وكبيرة وضخمة، فالحضارة الحديثة أفرزت الكثير من التحديات والمشاكل والعقبات أمام المرأة المسلمة. وبالرغم من المكتسبات الإيجابية التي تحققت للمرأة المسلمة بفعل الإمكانات والفرص المتاحة لها نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي؛ إلاّ أنها في نفس الوقت تواجه تحديات جديدة لم تكن موجودة من ذي قبل.

فما هي أبرز هذه التحديات الجديدة؟

وكيف يمكن للمرأة المسلمة أن تواجه هذه التحديات؟

التحديات الجديدة:

يمكننا أن نلخص أبرز التحديات الجديدة التي تواجه المرأة المسلمة في العناصر التالية:

١ ـ تحدي العولمة الثقافية:

يطرح دعاة (تحديث المرأة) بأن المرأة المسلمة تعيش حالة من التخلف والجهل بسبب تمسكها بالدين، والحل لإخراجها من تلك الحالة المزرية هو التحرر من الدين والقيم والمبادئ!

ولا يخفى على عاقل أن هذه مغالطة مفضوحة؛ إذ إن الدين يدعو ويحثّ المرأة المسلمة ـكما الرجل ـ على ضرورة اكتساب العلوم والمعارف، واستثمار العقل وتوظيفه في الإبداع والابتكار، ويشجع على التحديث والتطوير والتعليم. أما التحديث بالمفهوم الغربي فهو يعني التحلل من القيم الدينية، ومكارم الأخلاق، وشرعنة العلاقات الجنسية من دون أية ضوابط... وهذا ما يرفضه الدين قطعاً.

والثقافة الوافدة إلينا من الغرب تحاول عبر ما يسمى بـ(العولمة الثقافية) فرض قيمها وأفكارها وثقافتها على المرأة المسلمة، وتعميم الرؤية الغربية لقضايا المرأة في جميع أنحاء العالم.

فالعولمة الثقافية تطرح فيما يخص شؤون المرأة حرية الإجهاض، والزواج المثلي، وحرية إقامة علاقات جنسية غير مشروعة، وإنجاب الأطفال خارج نطاق (الزواج الشرعي) وشرعنة كل ذلك من الناحية القانونية.. وهذا كله يتناقض مع قيم الدين والأخلاق، بل والمثل والقيم الإنسانية.

وقد عقدت الكثير من المؤتمرات العالمية حول المرأة وذلك بهدف تعميم الرؤية الغربية لقضايا المرأة على العالم كله بغض النظر عن ديانات وثقافات وخصوصيات المجتمعات الإنسانية المختلفة!

«فقد عقد المؤتمر العالمي الأول للمرأة بمدينة «مكسيكو» عاصمة المكسيك عام ١٩٧٥م وحضرته ١٣٣ دولة ومنظمة، وأكثر من ١٠٠٠ مندوب ٧٠٪ منهم نساء.

وعقد المؤتمر العالمي الثاني للمرأة في «كوبنهاجن» عاصمة الدانمارك، والذي عقد عام ١٩٨٠م وحضره أكثر من ألفي مندوب يمثلون ١٤٥ دولة عضواً بالأمم المتحدة والمنظمات المعنية والهيئات الخاصة التابعة للأمم المتحدة.

وعقد المؤتمر العالمي الثالث للمرأة في «نيروبي» عاصمة كينيا في عام ١٩٨٥م وحضره أكثر من ٦٠٠٠ شخص من بينهم مندوبون من ١٥٧ دولة ومنظمة ومن ٥٦ هيئة خاصة تابعة للأمم المتحدة، وفي نهاية هذا المؤتمر أجيزت (استراتيجية نيروبي للتطلع إلى الأمام لتقدم النساء عام ٢٠٠٠م).

وعقد المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في «بكين» عاصمة الصين في عام ١٩٩٥م»[١]

---

(١) المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة، سهيلة زين العابدين حماد، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٤٨.

ولاشك أن ذلك يشكل تحدياً خطيراً للمرأة المسلمة التي يُراد مسخ هويتها، وسلب قيمها ومبادئها من شخصيتها، وجعلها تتماشى مع أفكار وسلوكيات (المرأة المعولمة) وفقاً لثقافة الحضارة المادية للغرب.

ويزداد هذا التحدي خطورة إذا علمنا قوة وضخامة الإمكانيات والقدرات التي تمتلكها الحضارة المادية الحديثة في نشر أفكارها وقيمها عبر مختلف الوسائل والطرق والأساليب المتنوعة والمؤثرة.

٢ـ تحدي الإعلام:

يلعب الإعلام الحديث دوراً فاعلاً في التأثير على الناس، وخلق قناعات جديدة، وسلوكيات جديدة؛ وبالرغم من أن للإعلام المعاصر إيجابيات كثيرة لعل من أهمها: التعرّف على ما يحدث في العالم من أخبار وأحداث وتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، وزيادة الثقافة العامة؛ والاطّلاع على ثقافات الشعوب المختلفة؛ إلاّ أن للإعلام الفاسد مخاطر كبيرة أيضاً على الجيل الجديد؛ إذ يساهم الإعلام الفاسد في اتباع الشهوات، وانحلال الأخلاق، والابتعاد عن القيم الدينية والروحية والأخلاقية.

كما أن الإعلام الحديث يساهم بصورة سلبية من خلال نشر الأفلام الغربية والمسلسلات المدبلجة والتي تحمل ثقافة غربية بعيدة عن قيمنا وعاداتنا الإسلامية وهو

ما ترك تأثيراً سلبياً في شخصية المرأة المسلمة.

وقد عمل (الإعلام اللهوي) على تغييب الوعي الحقيقي عند الناس، وتهميش أدوار المرأة المسلمة من مربية للأجيال، ومساهمة في تربية الأسرة، وتنمية المجتمع إلى أدوار ثانوية وشكلية كالاهتمام بآخر موضات الأزياء، ومساحيق التجميل، وتعلم فنون الموسيقى والغناء والرقص!

وللإعلام المعاصر دور مهم ومؤثر في تركيز النظرة للمرأة كجسد للاستمتاع، وليس كإنسان مبدع وخلاّق! وهو ما جعل المرأة المعاصرة تلهث وراء القضايا الشكلية والمظهرية على حساب الاهتمام بالقضايا المهمة والرئيسة لها ولمجتمعها.

وهذا هو التحدي الخطير الذي يحاول (الإعلام اللهوي) تحقيقه في مجتمعاتنا الإسلامية، وهو ما يجب أن تلتفت إليه المرأة المسلمة، وأن لا تنخدع بثقافة الصورة المزورة الذي يسعى الإعلام إلى تركيزها في عقول المشاهدين والمشاهدات. كما أن على المرأة المسلمة الاهتمام بقضايا أمتها ومجتمعها، وأن تبني جيلاً ملتزماً عبر المساهمة في بناء الأسرة الفاضلة، والمشاركة في تنمية المجتمع، وتقدم الأمة.

٣ـ تحدي الإنترنت:

تعتبر الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) من أحدث وسائل الاتصال، وأسرعها انتشاراً، وأكثرها فائدة؛

حيث حولت العالم -كل العالم- إلى قرية إلكترونية عالمية واحدة.

والإنترنت وسيلة مهمة حيث فتحت أمامنا آفاقاً واسعة من المعارف والعلوم؛ بالإضافة إلى أنها وسيلة للإعلام والتخاطب والتجارة والتسوق والتسلية... وغير ذلك كثير.

ومع كل الفوائد والمحاسن التي لشبكة الإنترنت إلاّ أنها لا تخلو من سلبيات ومساوئ؛ ومن أخطرها: انتشار المواقع الإباحية والتي تعدّ بالآلاف إن لم تكن ملايين؛ حيث تشكل خطراً حقيقياً على سلوكيات الجيل الناشئ وخصوصاً أخلاقيات المراهقين من الجنسين على حدّ سواء.

وقد أشارت الدراسات الميدانية في هذا الجانب إلى العلاقة الوثيقة بين ارتكاب الجرائم الجنسية ومشاهدة الأفلام الجنسية؛ بَيْدَ أن مشاهدة الأفلام الخليعة والصور العارية تؤدي إلى تدمير الضوابط والقيم الأخلاقية عند المشاهدين لها؛ وما ارتفاع جرائم الاغتصاب للفتيات في كثير من المجتمعات المسلمة، بل واغتصاب الاطفال إلاّ دليل على تأثير ذلك في سلوكيات الفتيان والفتيات.

«وقد كشفت إحدى الدراسات أن التدفق على المواقع الإباحية في أوقات العمل التي تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً إلى الخامسة عصراً قد يبلغ (٧٠٪) من

إجمالي نسبة التدفق على تلك المواقع. كما كشفت دراسة إحدى الشركات بأن هناك إقبالاً كبيراً جداً على المواقع الإباحية حيث تزعم إحدى الشركات الإباحية بأن (٤,٧) مليون زائر يزورون صفحاتهم على الشبكة أسبوعياً، كذلك أوضحت دراسة (أدست ـ Adsit) أن المواقع الإباحية أصبحت مشكلة حقيقية، وأن آثارها المدمرة لا تقتصر على مجتمع دون الآخر، ويمكن أن تلمس آثارها السيئة من ارتفاع جرائم الاغتصاب بصفة عامة واغتصاب الأطفال بصفة خاصة.

وقد أثبتت بعض الدراسات في المجتمع السعودي أن (٦٨,٨٪) من مجموعة المبحوثين يرون أن هناك علاقة بين الانحراف والجرائم المرتكبة وبين مشاهدة أشرطة الفيديو الجنسية، وأن (٥٣,٧٪) من مرتكبي الجرائم الجنسية كانوا يميلون إلى مشاهدة الأفلام الجنسية، كما تبين من الدراسة قوة تأثير مثل هذه الصور في ارتكاب جرائم الاعتداء الجنسي من قبل مجرمي اغتصاب الإناث وهاتكي أعراض الذكور»[(١)].

ولما يترتب على مشاهدة الأفلام الخليعة وزيارة المواقع الإباحية من آثار سلبية ومدمرة على الرجل والمرأة فقد

---

(١) مجلة العلوم والتقنية، الرياض، العدد ٦٥، محرم ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ص٢٠.

أفتى الفقهاء بحرمة ذلك؛ إذ يوجد ارتباط قوي بين النظر إلى الصور الجنسية الفاضحة وارتكاب الجرائم الجنسية كما ثبت ذلك من خلال الدراسات الميدانية في هذا المجال.

كما أن من مساوئ شبكة الإنترنت على المرأة المسلمة هو سهولة إقامة علاقة غير مشروعة مع شاب من خلال وسيلة الإنترنت، وقد حدث الكثير من المشاكل بسبب ذلك!

وتوجد على شبكة الإنترنت العديد من المواقع المتخصصة لقضايا المرأة والتي تهدف إلى مسخ هوية المرأة المسلمة، وإقناعها بثقافة السفوز والتعرّي، والتخلّي عن القيم والمبادئ والأخلاق.

ومن مساوئ الشبكة أيضاً هو ما يسمى بـ(الدردشة) التي توجد في الكثير من المواقع والتي تضيع وقت المرأة كما الرجل، وتجرّ المرأة إلى حوارات سخيفة، واستخدام عبارات مخلة بالآداب؛ أضف إلى ذلك أنها وسيلة شيطانية لإقامة علاقات عاطفية بين الشباب والفتيات بصورة غير شرعية.

وهذه ما هي إلا نماذج وأمثلة لمساوئ الإنترنت فيما يخص المرأة -على سبيل المثال لا الحصر- وهو ما يشكل تحدياً خطيراً جداً أمام المرأة المسلمة التي عليها أن تحافظ على إسلامها وقيمها وأخلاقها. ومن جهة أخرى يجب

الاستفادة من الإنترنت في الجوانب الإيجابية لها والتي لا تخفى على مستخدمي هذه الشبكة العنكبوتية.

٤ـ تحدي العمل:

دخول المرأة المسلمة في ساحة العمل والوظيفة أمر إيجابي ومفيد ومطلوب؛ لأنه يعني مشاركة المرأة في التنمية والتطوير الاجتماعي؛ فالمرأة باعتبارها عضواً رئيساً في المجتمع يجب أن تشارك في تنميته وتطويره.

إلاّ أن لذلك تداعيات سلبية ومنها: أن المرأة العاملة أصبحت في مجتمعنا امرأة استهلاكية إلى درجة أن ٧٠٪ من مدخول الفتيات العاملات يصرف في الكماليات!

ونتيجة للقدرة الشرائية عند المرأة العاملة أصبح الاهتمام الزائد بالأزياء والموضات الجديدة من أولويات بناء الشخصية عند المرأة؛ في حين لا يكاد يُعطى أي اهتمام ببناء العقل والروح!

وتشير الأرقام إلى أن المرأة الخليجية تصرف الكثير من الأموال على منتجات التجميل؛ فقد «قال خبراء دوليون في صناعة وتسويق منتجات العناية بالجمال إن النساء في منطقة الخليج ينفقن نحو ١,٧ مليار دولار سنوياً على منتجات التجميل والموضة وإن حجم الإنفاق يزداد بصورة متصاعدة. وأن نسبة السكان الذين تقلّ أعمارهم عن ٢٥ عاماً وهي الفئة التي تنفق أكبر نسبة على مواد التجميل

تشكل نحو ٦٠٪ من العدد الإجمالي للسكان»[١]

وذكرت مجلة اليمامة السعودية ضمن تحقيق لها عن (المرأة في السعودية واستهلاك أدوات التجميل) أنه خلال عام ١٩٩٥م استهلكت النساء في السعودية ٥٣٨ طناً من أحمر الشفاه، و ٤٣ طنّاً من طلاء الأظافر، و ٤١ طنّاً من مزيلات هذا الطلاء! و ٢٣٢ طنّاً من مستحضر تجميل العيون، وصباغة الشعر ٤٤٥ طناً[٢].

ومن المهم أن تدرك المرأة المسلمة مساوئ الإسراف والتبذير في جميع جوانب حياتها؛ وإذا كان من الطبيعي أن تهتم المرأة بجمالها وأن تعمل على تحسينه، إلاّ أنه يجب أن لا يتجاوز الحدود الطبيعية، وأن لا يصل الأمر إلى حدود الإسراف والتبذير المحرم.

ولعل مما يساعد على الإسراف والاستهلاك المبالغ فيه في شراء مستحضرات التجميل هو غياب أية تطلعات كبيرة، أو أهداف مهمة، أو رؤية فكرية منهجية في حياة المرأة المسلمة؛ مما يدفعها نحو الاهتمام الزائد بالكماليات والعناية بالمظهر والشكل على حساب الاهتمام بالقضايا

---

(١) صحيفة الوطن السعودية، أبها، العدد ٩٧٦، تاريخ ٢/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢/ ٦/ ٢٠٠٣هـ.

(٢) مجلة اليمامة، الرياض، العدد ١٤٤٩، تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٤١٧هـ، ص٢٢.

المهمة والجوهرية في حياة المرأة المعاصرة.

ومن التداعيات السلبية أيضاً لالتحاق المرأة بالعمل هو انشغالها بالوظيفة عن تربية أبنائها تربية صالحة، والاعتماد في ذلك على الخادمة، مما يؤدي إلى الكثير من المشاكل في تنشئة الجيل الجديد.

هذه بعض التداعيات السلبية لانشغال المرأة بالعمل والوظيفة، وهذا لا يعني بالطبع أن تتخلى المرأة عن الالتحاق بفرص التوظيف والعمل المناسب لها؛ وإنما أردنا التنبيه إلى سلبيات الانشغال بالوظيفة والعمل، وضرورة تلافي ذلك، وأهمية الموازنة بين مسؤوليات الأسرة والقيام بمسؤولياتها الوظيفية في العمل.



كيف تواجه المرأة
المسلمة التحديات الجديدة؟

بعد أن استعرضنا أبرز التحديات الجديدة التي تواجه المرأة المسلمة في الحياة المعاصرة؛ يأتي السؤال الأكثر أهمية وهو: كيف تستطيع المرأة المسلمة مواجهة هذه التحديات الجديدة؟!

والجواب: من أجل أن تمتلك المرأة المسلمة في عالم اليوم القدرة على مواجهة التحديات والصعوبات والعقبات لابد من اتباع ما يلي:

١ـ فهم الدين:

على المرأة المسلمة التمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، والمحافظة على دينها... فهذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى رضا الله عز وجل.

ولكي تلتزم المرأة بذلك؛ فإن عليها أن تفهم دينها

بصورة صحيحة، وأن تنمي معارفها الدينية، وأن تستوعب عقيدتها، وأن تقوّي من إيمانها... عندئذٍ تكون المرأة شديدة الحرص على مبادئها وقيمها وعقيدتها، والوقوف بقوة ضد كل من يحاول التشكيك في الدين، أو التلاعب بالقيم والمبادئ تحت مسميات برّاقة لكنها تحمل في ذاتها مضامين منحرفة أو مشوّهة.

والمرأة العالمة بدينها لن يكون من السهل تغيير قناعاتها أو ثقافتها؛ في حين أن المرأة التي تفهم الدين بصورة سطحية سيكون من السهل تغيير ثقافتها، وجرّها نحو أفكار أبعد ما تكون عن الدين.

٢- التربية الصالحة:

تعدّ التربية الصالحة للفتاة من أهم الطرق لمواجهة التحدّيات الجديدة التي تعترض طريقها، فالفتاة التي تنشأ في ظل عائلة صالحة، وأجواء تربوية سليمة، ورعاية كاملة، وإشباع للحاجات المادية والمعنوية، وتوفير الدفء العاطفي لها.. كل ذلك يساهم في تربية البنت تربية صالحة.

والتربية الصالحة للمرأة تعطيها القدرة على مواجهة التحديات بشجاعة وحكمة، والصمود أمام المغريات المادية والعاطفية، والتمسك بالقيم الدينية، والأخلاق الإنسانية.

أما المرأة التي تنشأ في ظل تربية سيئة ستكون مهيأة -غالباً- للانهيار أمام مغريات الدنيا، والوقوع بسهولة في

فخاخ شبكات الفساد والانحراف.

ويتحمل الوالدان مسؤولية عظيمة في تربية الفتاة كما الفتى تربية صالحة إيمانية مما يؤهلها لمواجهة كل التحديات الحاضرة والمستقبلية.

كما أن على المرأة المسلمة أن تزكّي نفسها، وتنمّي أخلاقها، وتهذب سلوكها، وتعوّد نفسها على العادات المفيدة، والآداب الحسنة... وبذلك تكتسب المرأة لنفسها مكارم الأخلاق، وحميد الصفات، وحسن السلوك والالتزام.

٣- الوعي الثقافي:

امتلاك الوعي الثقافي عنصر هام من عناصر نضج المرأة ورشدها، وهذا ما يجب أن يدفعها نحو إنماء وعيها الثقافي كي تستطيع الثبات في ظل الطغيان المادي في الحياة المعاصرة؛ وكي تتمكن من القدرة على التعامل والتفاعل مع قضايا العصر بصورة علمية ومعرفية.

وإنماء الوعي الثقافي يتطلب من المرأة التسلّح بالمعرفة والثقافة؛ وهذا ما يستوجب المطالعة الواعية والقراءة المركّزة، ومتابعة الحركة الثقافية والمعرفية، والتواصل مع النخب الثقافية، والاطلاع على ثقافة العصر.

والمرأة المسلمة مطالبة بالارتقاء إلى مستوى التحديات الكبيرة؛ ولن تتمكن من ذلك إلاّ بتأهيل نفسها، وتفجير

مواهبها، وتنمية معارفها، وتعميق فهمها للمستجدات والحوادث الجديدة، وتعلم كل ما يخدم بناء شخصيتها. أما إذا لم تؤهّل المرأة نفسها فإن أبسط رياح ثقافية تهبّ عليها من (الثقافة المعولمة) قادرة على زعزعة المرأة عن عقيدتها، وإبعادها عن أخلاقها، والتأثر بمغريات الحضارة المادية المعاصرة

والمرأة المسلمة المعاصرة عليها أن تلمّ بمفاهيم عصرها، ومستجدات مجتمعها، وأن تمتلك الوعي الكافي لكل القضايا التي تهمها وتهم المجتمع والأمة.

وكلما كانت المرأة المسلمة أكثر وعياً ورشداً كلما امتلكت القدرة على تجاوز التحديات والصعوبات والمشاكل المتنوعة. كما أن المرأة الواعية تمتلك من الأفق الواسع، والفهم الصائب، والبصيرة الثاقبة، ما يجعلها تتحمل المسؤولية، وتشارك في صناعة التقدم والنهوض الثقافي والمعرفي لمجتمعها وأمتها وحضارتها.

٤- التأسي بالقدوة الحسنة:

من الضروري لكل امرأة مسلمة أن تقتدي بالقدوة الحسنة في حياتها، وأن تتأسى بالنماذج الصالحة في تاريخنا؛ وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ هي أفضل قدوة لكل امرأة، فهي سيدة نساء المؤمنين كما قال رسول الله ﷺ: «**يا فاطمة! أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو**

سيدة نساء هذه الأمة؟»[1]، وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة؟**»[2].

كما أنه من المهم كذلك أن يكون في مجتمعنا المعاصر نماذج صالحة لكي تقتدي النساء بهن، فالقدوة الصالحة تعطي النموذج المتميز الذي يمثل إضاءة قوية لمن أراد السير على الصراط المستقيم.

ومن المؤسف حقاً أن نرى بعض فتياتنا يقلدن الممثلات أو المغنيات في سلوكهن وتصرفاتهن بل وحتى لباسهن! وقد ساهم (الإعلام اللهوي) في ترميز نجوم الغناء والرقص، وتقديمهن، على أنهن النماذج المتميزة للمرأة العصرية!

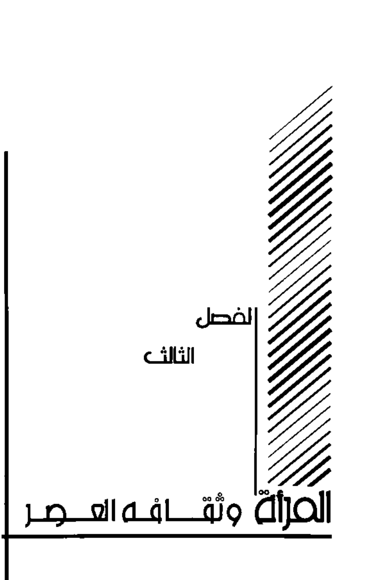
وما يجب فعله هو ترميز (المرأة الصالحة) الملتزمة بدينها، المحافظة على حجابها، وتقديمها كنموذج يحتذى بها للمرأة المسلمة؛ فترميز (المرأة الصالحة) يساهم بصورة فعّالة

---

(١) صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ص٩٢٨، رقم الحديث ٦٣١٣، باب فضائل فاطمة بنت النبي، عليها الصلاة والسلام.

(٢) كنز العمال، علاء الدين علي المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص١١٠، رقم الحديث ٣٤٢٣٢.

في تأسي المرأة المسلمة بها. أضف إلى ذلك أنه نوع من إظهار الفضيلة، وتشجيع القيم الدينية في المجتمع.



الفصل الثالث

المرأة وثقافة العصر



مدخل

تعتبر الثقافة من أقوى الروافد المؤثرة في صياغة الشخصية الإنسانية؛ فالثقافة تساهم بصورة فاعلة في تكوين رؤى وقناعات الأفراد والمجتمعات، وهو ما ينعكس أيضاً على سلوكيات وأخلاقيات كل فرد من أفراد المجتمع.

وباعتبار أن مفهوم الثقافة يشير إلى المعارف والمعتقدات، والعادات، والتقاليد، والفنون، والقوانين، ومنظومة القيم والرموز والمثل... إلخ: فالثقافة بهذا المفهوم يشير إلى تنوّع متجانس ومؤثر في مسيرة المجتمعات؛ كما أنها نتاج لتراث المجتمع على مرّ السنين والقرون.

والسؤال الذي يجب أن نطرحه هنا: هل الثقافة عملية جامدة وثابتة أم أنها متجددة ومتطورة ومتغيّرة؟

في تقديري أن عملية التجديد والتطوير تشمل أغلب جوانب الثقافة؛ وأنها عملية متجددة بل ومتغيّرة بتغيّر الزمان والمكان؛ فإذا استثنينا المعتقدات الدينية ـباعتبارها

تشكل جزءاً من الثقافة بالمفهوم الشامل- والتي هي بدورها تنقسم إلى ثوابت لا تتغيّر رغم تغيّر الزمان والمكان كالعقائد والعبادات، وجوانب متغيّرة كالمعاملات؛ فإن أغلب جوانب الثقافة تخضع للتغيّر والتطوّر والتجدّد.

وفي عصرنا الحاضر تغيّرت الكثير من المفاهيم الثقافية بفعل تغيّر ظروف الزمان، وتطوّر الوعي العام، وتنامي دائرة الفكر والمعرفة، إلاّ أن هذا لا يعني أن هذا التغيّر هو شيء إيجابي بالمطلق أو سلبي كذلك، وإنما نريد هنا توصيف الحالة الثقافية وتغيّرها بفعل تغيّر المنتج الثقافي ووسائله وأدواته.

والمرأة في ظل المتغيّرات الثقافية المتسارعة ليست منفصلة عما يحدث من حولها، وعما ينتج لها من ثقافة وأفكار تهدف إلى صياغة رؤية جديدة للمرأة في ظل عولمة ثقافية يُراد تعميمها عالمياً بغض النظر عن الخصوصيات الثقافية للمجتمعات المختلفة.

والمرأة المسلمة بما تحمل من (ثقافة إسلامية) تواجه تحدياً خطيراً من تداعيات (الثقافة المعولمة) ويتجلى خطورة هذا التحدي كلما أدركنا ما تملكه (العولمة) من آليات ووسائل وقنوات وروافد ضخمة وقوية للتبشير بثقافتها وقيمها ومثلها، والعمل بجد وتخطيط من أجل تهميش كل ثقافة مغايرة لثقافة العولمة!

وفي ظل هذا الواقع الثقافي الجديد فإن المرأة المسلمة

مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالارتقاء لمستوى التحديات الراهنة، والاستفادة من الفرص الجديدة والمفيدة مع ضرورة فهم واستيعاب الثقافة الإسلامية، والالتزام بثوابتها، ورفض أي منتج ثقافي يتصادم مع ثقافة الإسلام والانفتاح على ثقافة العصر مما لا يتعارض مع الثقافة الإسلامية الاصيلة.



المرأة والثقافة المعاصرة

شهدت الثقافة المعاصرة تطورات كبيرة، وقفزات نوعية، وأفكاراً جديدة في مختلف جوانب الحياة؛ ومما ضاعف من التأثير الثقافي هو امتلاك الثقافة المعاصرة لوسائل متطورة، وآليات فاعلة لنقل الثقافة إلى أي مكان من العالم من دون رقيب أو حسيب، بل ويتم ذلك في لحظة عين أو أقل من ذلك!

وبفعل ما يعيشه الغرب من تقدم مادي مذهل، وما يعيشه المسلمون من تخلف شامل، أصبح الغرب بثقافته المادية قادراً على اختراق كل السدود، والتأثير في العقول والقلوب. وإذا كان الإنسان في الماضي يتأثر بالغرب عندما يسافر إليه ويمكث فيه مدة من الزمن؛ فإن الوضع اليوم لم يعد كذلك، فلا حاجة للسفر، ولا داعي لكي يترك الإنسان بلاده؛ فثقافة الغرب تأتي إلينا كالنهر الجاري عبر القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت العالمية أينما كنا، وفي أي وقت وزمان!

وثقافة الصورة اليوم أصبحت أكثر قدرة على استقطاب الناس، والتأثير فيهم من أي كتاب؛ ولذلك لا ترى منزلاً خالياً من جهاز تلفاز أو كمبيوتر؛ في حين ترى الكثير من الناس غير معنيين باقتناء الكتب فضلاً عن قراءتها؛ بل أصبحت عادة قراءة الكتب من العادات المهددة بالانقراض!

والثقافة المعاصرة تركز كثيراً على المرأة، وتتفنن في إيصال (ثقافة العولمة) إلى عقول النساء المسلمات؛ من خلال القنوات الفضائية المتخصصة للمرأة، والمواقع المخصصة للمرأة على الإنترنت، والمجلات النسائية الخاصة للنساء... وكلها تهدف -فيما تهدف إليه- إلى تغيير ثقافة المرأة المسلمة، وتعديل سلوكياتها، والتأثير في قناعاتها الدينية.

وما يجب أن تنتبه إليه المرأة المسلمة أن الثقافة الغربية ترتكز على فكر مادي، وبالتالي فهو لا يستطيع الاستجابة لكل حاجات الإنسان؛ بَيْدَ أنه كما يحتاج أي إنسان إلى إشباع حاجاته المادية، يحتاج كذلك لإشباع حاجاته المعنوية والروحية والأخلاقية.

أما ثقافة الإسلام فهي ثقافة قائمة على التوازن بين الروح والجسد، بين العقل والعاطفة، بين المادة والميتافيزيقيا، بين الدنيا والآخرة... وهذا ما يميز ثقافة الإسلام عن الثقافة الغربية المادية.

ومع ذلك يجب أن نعترف بأن التقدّم المادي الذي أحرزه الغرب يبهر الكثير من الناس في مجتمعاتنا الإسلامية، كما أن الإمكانات الضخمة المتوافرة بيد الغرب يعطي الكثير من الفرص للتأثير في سلوكيات وأخلاقيات الأفراد والمجتمعات على حدٍّ سواء؛ خصوصاً مع ضعف الانتماء للدين، وعدم التجديد في البرامج الدينية التوعوية، وجمود الخطاب الإسلامي التقليدي.

ولأن هذا العصر يمكن أن نسميه بعصر (تزاحم الثقافات) فأن علينا كمسلمين أن نوضح خصائص ثقافتنا الإسلامية، وقدرتها على الاستجابة لمتطلبات العصر وتحولاته، وأن نستفيد من آليات ووسائل نقل الثقافة لإيصال ثقافتنا إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه.

والمرأة المسلمة التي تواجه مختلف وسائل الإغواء والإغراء لتنسلخ من ثقافتها الإسلامية بحاجة ماسة للإقناع باستخدام المنطق والحوار والدليل والبرهان لتركيز المفاهيم الإسلامية، وتجذير القيم الأخلاقية في شخصيتها؛ كي يمكن لها المحافظة على هويتها الإسلامية وقيمها الأخلاقية عن قناعة داخلية وليس بأسلوب الفرض والقسر؛ وعندئذٍ تتحول ليس فقط كامرأة مسلمة ملتزمة ومحافظة على قيمها وأخلاقها وإنما داعية ومدافعة أيضاً عن ذلك.



الثقافة المعاصرة وقضايا المرأة

قضايا المرأة من أبرز القضايا التي لا تزال تشكل ميداناً للنقاش الساخن، والمعارك الحامية، والسجالات التي لا تتوقف. وهذه المعارك والسجالات الثقافية تدور أحياناً بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي للمرأة، وأحياناً في داخل الدائرة الإسلامية بين منظورين مختلفين يمثل أحدهما: ثقافة الجمود والتحجر. والآخر: يمثل ثقافة التجديد والإصلاح.

فبالنسبة للمعارك الساخنة التي تدور بين المنظور الغربي والمنظور الإسلامي للمرأة فإن نقاط الاختلاف تبدو جلية فيما يتعلق بحرية المرأة؛ ففي حين أن (ثقافة العولمة) ترى أن من حق المرأة أن تمارس أي شيء كما تريد بدون أية ضوابط شرعية أو أخلاقية، وأن ذلك يدخل ضمن نطاق (الحرية الشخصية) فإن المنظور الإسلامي يرى أنه لا حرية في فعل الحرام، وأن حرية المرأة متاحة ضمن (المباح) لها شرعاً وأخلاقاً. وأظن أن الخلافات الأخرى الرئيسة في أغلبها متفرعة من تغاير مفهوم (الحرية) لدى المنظورين:

الإسلامي والغربي.

أما بالنسبة للمعارك التي تدور ضمن الدائرة الإسلامية فإن الخلاف يتركز حول قراءة (النص الديني) وما يستتبعه من فهم واجتهاد واستنباط للأحكام الشرعية الخاصة للمرأة، ومن بلورة للمفاهيم المتعلقة بقضايا المرأة وشؤونها.

وكل منظومة ثقافية تحاول أن تقدم نفسها باعتبارها تعطي النموذج الأفضل لتقدم المرأة ورقيها والحفاظ على شخصيتها الإنسانية.

وقد استفاد الغرب منذ بروزه في العصر الحديث كقوة حضارية متقدمة من تفوقه العلمي والتكنولوجي والصناعي والاقتصادي لإقناع (الآخر) بوجهة نظره حول رؤيته للمرأة، وأنه يقدم للإنسانية النموذج الأفضل والأرقى لتقدم المرأة وبناء شخصيتها!

وقد حاول الغرب من خلال عقد المؤتمرات العالمية حول المرأة، ومؤتمرات الإسكان، ومؤتمرات التعليم العام، وإبرام الاتفاقيات الدولية عن المرأة، وتقديم الدعم المالي للمنظمات والمنتديات والمراكز النسائية، أن يعمم الرؤية الغربية للمرأة على كل الثقافات والحضارات الأخرى.

ويمكن تلخيص أهم أهداف هذه المؤتمرات العالمية حول المرأة فيما يلي:

١- العمل على تجاوز القيم الدينية والأخلاقية، وذلك عبر التقليل من أهمية الزواج والدعوة إلى الإباحية والانحلال والشذوذ الجنسي.

٢- الدعوة إلى تغيير جذري في مجال الأسرة عبر إلغاء دور الزوجة داخل بيتها وتحديد صلاحيات الأب، والاعتراف بتعددية أشكال الأسرة!

٣- إبطال التشريعات الدينية والأعراف الاجتماعية واستبدالها بالاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة.

٤- تهميش ثقافات الشعوب والدعوة إلى أُحادية ثقافية في ظل العولمة.

إلاّ أن الغرب أخفق أحياناً ونجح في أحيان أخرى في الوصول إلى أهدافه وغاياته الرامية لوضع رؤية (العولمة) حول المرأة موضع التطبيق.

وقد ازداد الاهتمام بقضايا المرأة في كل مكان من العالم، وخصوصاً في العالمين العربي والإسلامي نظراً للاهتمام والتركيز العالمي بذلك إلاّ أن ما ينبغي قوله هنا: إن ثقافة العولمة تركز على قضايا محدّدة كتحرير المرأة، وقضايا الجنس المبتذل، ومساواة المرأة بالرجل، وتتجاهل القضايا الرئيسة في حياة المرأة.

وفي ظل هذا الواقع الثقافي المعاصر، ينبغي أن تدرك

المرأة المسلمة مفاهيم الإسلام وثقافته الأصيلة، وأن تستوعب ما عليها من واجبات وما لها من حقوق كي تستطيع الحفاظ على شخصيتها الإسلامية في ظل ضغوط دولية، وخطط مدروسة لتغريب المرأة المسلمة، ومسخ هويتها الثقافية.

كما أن من واجب أهل الفكر والرأي العمل على تثقيف المرأة، وتنمية وعيها، وتفعيل البرامج النسائية التوعوية، ودفعها نحو المشاركة في بناء المجتمع، وتقدّم الأمة، وصنع الحضارة الإسلامية.

المرأة والثقافة الاستهلاكية

تساهم ثقافة أي مجتمع في تشكيل نوعية التفكير وإنتاج سلوكيات الأفراد، وإيجاد ما يتلاءم مع تلك الثقافة من أفكار وعادات وتقاليد وقناعات اجتماعية. فإذا كانت الثقافة السائدة في المجتمع ثقافة منتجة وواعية فإنها تساهم في صناعة الوعي، وزيادة الفاعلية، وخلق الإبداع والابتكار؛ أما إذا كانت الثقافة السائدة في المجتمع -أي مجتمع- هي ثقافة استهلاكية فإنها بلا شك تزيد من الاهتمام بالكماليات، والترويج للمفاهيم الاستهلاكية، وتسطيح الثقافة بصورة عامة.

والثقافة المعاصرة تركّز كثيراً على الثقافة الاستهلاكية وخصوصاً الثقافة الموجهة إلى مجتمعاتنا الإسلامية بهدف الترويج للسلع الاستهلاكية، وزيادة مبيعات الشركات المنتجة للمنتجات الاستهلاكية.

ونظراً إلى أن المرأة أكثر اهتماماً بقضايا الكماليات

لتركيزها على ما يتعلق بالجماليات؛ فإنها الأكثر استهلاكاً لكل السلع الاستهلاكية. ويتضاعف ذلك عندما تعيش المرأة في مجتمع تعشعش فيه الثقافة الاستهلاكية، حيث يلعب التقليد الأعمى، والشراء غير المبرّر للسلع الاستهلاكية دوره الفاعل في انتشار ثقافة الاستهلاك في المجتمع.

وتبذل الشركات الكبرى ملايين الدولارات من أجل تسويق منتجاتها لزيادة حجم المبيعات، والتأثير على المستهلكين، والقيام بعملية إقناع مبرمجة من أجل الدفع بهم -وعن رضا- للشراء من دون أي تفكير!

ولا تتوقف خطورة الثقافة الاستهلاكية عند شراء السلع والمنتجات الكمالية؛ وإنما تزداد الخطورة عندما ندرك أن السلع الاستهلاكية تحمل مضامين ثقافية، وتبديل العادات والتقاليد الحسنة إلى عادات وتقاليد جديدة لا تنسجم مع قيمنا وثقافتنا الإسلامية.

وتأسيساً على ما مضى؛ فالمرأة المسلمة -كما الرجل- مطالبة بزيادة وعيها الثقافي، وترشيد الإنفاق، وعدم الانجرار وراء الاستهلاك والإسراف، ووضع ميزانية محددة للإنفاق الشهري، والحدّ من عادات الاستهلاك غير المبرّرة.

مظاهر الثقافة الاستهلاكية:

للثقافة الاستهلاكية مظاهر وملامح كثيرة.. وسأركز على المظاهر البارزة التالية:

١ـ صناعة الموضة:

لقد أصبحت صناعة الموضة من أنشط الصناعات تسويقاً وربحاً، إذ تُنفَق بلايين الدولارات سنوياً على استهلاك الموضة والزينة في مختلف بقاع العالم.

وتعد صناعة الموضة والترويج لاستهلاك سلعها من أبرز مظاهر الثقافة الاستهلاكية؛ وتحقق هذه الصناعة أرباحاً طائلة وذلك للنجاح الباهر الذي تحققه مبيعات الموضة والزينة على اختلاف أشكالها وأجناسها وأحجامها.

وتستخدم شركات الأزياء والإكسسوارات أساليب شتى، ووسائل متنوعة للترويج لمنتجاتها الاستهلاكية، بل وتستعين بخبراء متخصصين في عالم الجمال والموضة، وبدراسات ميدانية يقوم بها مراكز للأبحاث والدراسات لزيادة عدد المستهلكين لمنتجاتها، ومضاعفة الأسواق التي تستهلك ما تنتجه من أزياء وزينة ومستحضرات تجميل.

وتعتبر ما تستهلكه السوق الخليجية من مستحضرات تجميل من أعلى معدلات الاستهلاك العالمي، فقد «أظهرت دراسة اقتصادية أن إنفاق المستهلك الخليجي على العطور ومستحضرات التجميل تعتبر من أعلى معدلات الاستهلاك في العالم. وقدّرت حجم واردات مجلس التعاون الخليجي منها بنحو ٨١٧ مليون دولار سنة ١٩٩٥م. وأشارت الدراسة التي أعدها مصرف الإمارات الصناعي إلى أن دول

الخليج استوردت عام ١٩٩٥م نحو ١٩٠ ألف طنٍّ من العطور ومواد التجميل إلى جانب إنتاجها المحلي البالغ ٦٥ ألف طنٍّ قيمة واردات السعودية منها ٢٥٠ مليون دولار، والإمارات ١٩٠ مليون دولار.

ولاحظت الدراسة تزايد استهلاك العطور ومستحضرات التجميل بصورة مطّردة مع ارتفاع مستويات المعيشة، واتساع القاعدة الاجتماعية للفئات ذات الدخل المتوسط في دول مجلس التعاون الخليجي»[1].

وهذا نموذج واحد من نماذج كثيرة يؤشر على ارتفاع مستوى الاستهلاك في المجتمع الخليجي نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة، وتوافر السيولة، وازدياد حجم الطبقة المتوسطة... وهو ما أدى إلى تزايد عادات الاستهلاك في السلوك الاجتماعي.

ومن أجل إقناع الزبائن بشراء المزيد من الأزياء وأدوات التجميل تتفنن الشركات المنتجة في أساليب الدعاية والإعلان للترويج لمنتجاتها بحيث تجعل المرأة تلهث وباستمرار وراء آخر منتجات الموضة!

وإليك بعض الأمثلة في هذا المجال:

فحجم الثوب النسائي ـمثلاًـ يتغيّر من حين لآخر،

---

(١) صحيفة الحياة، لندن، التاريخ ١٢/ ٦/ ١٤١٦هـ.

كما يتم تغيير لونه وشكله وطرق تطريزه.

وبالنسبة للحقائب النسائية: فشركات الموضة تنتج للمرأة أحياناً حقائب ذات حجم صغير، وبعد فترة ذات حجم كبير وملفت للانظار، كما يتم باستمرار تعديل أشكالها وألوانها ونقوشها.

أما موضة الأحذية النسائية: فتارة تكون الموضة في الحذاء بحيث يرتكز على مسمار رفيع، وبعد فترة تأتينا موضة جديدة بحيث يكون الحذاء من الحجم العريض والضخم جداً!

أما عن صبغات الشعر: فسوق الموضة رائج جدًّا حيث تنتشر الصبغات المتنوعة ابتداءً من الصبغة الذهبية والصبغة النحاسية، ولم تبخل علينا تقليعات الموضة بأن تكون الصبغة على شكل (كوكتيل) أي بعدة ألوان في وقت واحد!

أما فيما يتعلق بموضة (الماكياج) فحدِّث ولا حرج، فللنهار ماكياج خاص، ولليل ماكياج يناسبه، ولكل موسم ماكياج خاص، ولكل مناسبة ماكياج يناسبها وهلم جرا.

أما عن العطور: فيجب على المرأة أن تستخدم في النهار عطراً خفيفاً، وفي الليل عطراً ثقيلاً، وللحفلات عطرها المميز؛ وهكذا تبدأ القائمة لكي لا تنتهي!

ولم تقتصر صيحات الموضة على النساء غير المتحجبات؛

بل إن الشركات المروّجة للموضة اهتمت أيضاً بصناعة موضة خاصة للنساء المتحجبات؛ ابتداءً من الحجاب الذي ترتديه المرأة الملتزمة إلى نوعية العباءة التي تلبسها!

والمهم عند شركات الموضة أن تستهلك المرأة ـ متحجبة كانت أم غير متحجبة ـ آخر صيحات الموضة، ومستحضرات التجميل، تماشياً مع الثقافة الاستهلاكية التي تهدف إلى تعميم الثقافة الاستهلاكية عند الجميع.

وهذه هي إحدى أهداف العولمة الثقافية التي تركز ـ فيما تركز ـ على الروح الاستهلاكية العالية، واختزال المرأة في بعدها المادي الاستهلاكي، وتجاهل البعد الروحي من حياتها، بل والعمل على تدميره.

وعليه؛ فالمطلوب من كل امرأة واعية إدراك أن الكائن الإنساني مكوّن من روح وجسد، ومن ثم يجب العمل على خلق التوازن بينهما، وعدم الاستغراق في الجانب المادي، كما أن على المرأة إدراك مخاطر الثقافة الاستهلاكية، واللهث وراء تقليعات الموضة، ومستحضرات التجميل، والحذر من التعوّد على الإسراف والتبذير والبذخ.

والإسلام لا يمانع في أن تهتم المرأة بجمالها وزينتها عند الحدود الطبيعية لذلك؛ بل ومطلوب منها أن تتجمل لزوجها، وأن تعتني بنظافتها وزينتها؛ فإن ذلك من أسباب

السعادة الزوجية. لكن ما يجب الحذر منه هو أن تتحول المرأة المسلمة إلى لاهثة وراء كل صيحة من صيحات الموضة، والبحث عن آخر الصرعات في عالم الأزياء، والتبذير في الأموال والأوقات من أجل مسايرة حمّى الموضة!

مخاطر الموضة:

لمسايرة صيحات الموضة وصرعات الأزياء مخاطر كثيرة على المرأة... ويمكن تلخيص أهمها ضمن النقاط التالية:

١ـ التعوّد على النزعة الاستهلاكية في شراء كل جديد في دنيا الموضة؛ فإذا كان للموضة فصول أربعة: أزياء للشتاء وأزياء للربيع وأزياء للصيف وأزياء للخريف. وفي كل فصل تمطرنا شركات الموضة بمئات التصاميم والأشكال والألوان، وأخذت المرأة تشتري كل ما هو جديد فإن ذلك مما يرهق ميزانية المرأة، وقد يضطرها للاقتراض من أجل مسايرة الموضة. إذ أصبحت المرأة في مجتمعنا تخجل من نفسها أن تلبس البدلة الواحدة أكثر من مرة في أكثر من مناسبة! بل تحوّلت حفلات الأعراس والمناسبات المختلفة إلى حفلات استعراضية للأزياء الجديدة وآخر تقليعات الموضة!

٢ـ ومن مخاطر مسايرة الموضة هو (التقليد) وتكمن خطورته في أن ما تنتجه شركات الموضة من أزياء

وإكسسوارات مصمم في الأساس لبيئة مختلفة عن بيئتنا؛ إذ صممت -غالباً- لنساء عاريات أو شبه عاريات ليس لهنَّ من هم سوى الإثارة، واستعراض مفاتن الجسد، وجلب انتباه الجنس الخشن!

كما أن للتقليد الاعمى للموضة تأثيره الثقافي والنفسي والسلوكي؛ وهو ما ينعكس بدوره على البنية الاجتماعية.

٣- تحويل اهتمام المرأة إلى القضايا الشكلية بدل الاهتمام بالقضايا الجوهرية، وتغييب الوعي لدى المرأة، وتحوير مسؤولياتها إلى قضايا شكلية ومظهرية.

لقد تحول مسايرة الموضة عند الكثيرات من النساء إلى مظهر من مظاهر العصرنة والتمدن... وهذا تصور خاطئ؛ إذ الدخول في عالم الحداثة والتمدن لا يأتي من خلال المسايرة العمياء لما تنتجه شركات الموضة؛ وإنما بفهم العصر، والتعمُّق في علومه، ومتابعة قضايا العصر في مختلف حقول المعرفة.

٤- إن الكثير من الأزياء تبعث على الضحك، وتثير الاشمئزاز ولكن بالدعاية الفاعلة والترويج لها بذكاء تتحول إلى أزياء عصرية، وموضة ساحرة؛ مما يجعل المرأة تلهث وراءها بدون أي تفكير مما يجعلها ترتدي ملابس لا تتناسب مع قيمها وعاداتها الإسلامية؛ بل قد يحولها إلى امرأة منحرفة حيث إن بعض الأزياء المتهتكة، والموضات السافرة تجرّ المرأة نحو فعل الحرام من حيث تعلم أو لا تعلم!

فشركات الموضة والزينة تعمل بكل تخطيط من أجل إفساد المرأة المسلمة وذلك من خلال إنتاج الكثير من الموضات والأزياء غير المحتشمة وغير الساترة والتي لا تليق بشخصية المرأة المسلمة، ويتم تسويقها في المجتمعات الإسلامية بصورة ذكية، وبضجة دعائية مقنعة!

هذه أبرز مخاطر الانجرار وراء صيحات الموضة، وعلى المرأة المسلمة أن تفكر في هذه المخاطر، وأن تدرك أبعاد ما يُعمَل لها من أجل تعويدها على الثقافة الاستهلاكية، وسحب ما لديها من أموال من خلال الشراء المستمر للأزياء وآخر صرعات الموضة والزينة.

ولتعلم المرأة المسلمة أن جمال الأخلاق، وجمال الروح، وجمال السلوك، وجمال العقل أهم من الجمال الشكلي والمظهري.

وإذا كان الاهتمام بجمال المظهر شيء طبيعي عند المرأة فالمطلوب أن لا يكون على حساب جمال الجوهر؛ إذ إن المنهي عنه هو أن يتحول جمال الشكل والمظهر إلى كل شيء في حياة المرأة المسلمة. أما جمال الروح والأخلاق فلا مكان له... هذا هو ما يجب الحذر منه أشد الحذر. كما يجب عدم الانجرار وراء صرعات الموضة من دون أي تفكير لأن ذلك يجعل المرأة المسلمة تقع ضحية للثقافة الاستهلاكية من دون أن تشعر!

٢ ـ صناعة الجسد:

تعتبر (صناعة الجسد) من أبرز ملامح ومظاهر الثقافة الاستهلاكية؛ إذ تحوّلت المرأة في عصرنا من إنسان محترم يمتلك كل مؤهلات الإنسانية إلى جسد يعبّر عن الحالة الأنثوية للمرأة بصورة مبتذلة في ظل ثقافة العولمة. فاستعراض (الجسد) الذي تضج به الفضائيات والمجلات وصالات السينما ومحلات البيع في الكثير من المجتمعات قد حَوَّلَ المرأة إلى جسدٍ بلا روح، وبلا عقل أو تفكير. والهدف من ذلك هو تحويل (جسد المرأة) إلى عامل جذب للزبائن، وهو امتهان لكرامة المرأة وإنسانيتها.

وهذا الواقع الذي أنتجته (الثقافة الاستهلاكية) قد أحدث تغييرات جذرية على مستوى المفاهيم والقيم، ورسم تحولات ثقافية وسلوكية في النظرة للمرأة المعاصرة، فالمرأة/ الجسد تجدها في كل شيء معاصر، في الإعلام والدعاية، وفي تنشيط السياحة، في البيع والتجارة، في التسويق والترويج لكل السلع الاستهلاكية... إنه باختصار يمثل الحضور الطاغي لجسد المرأة على حساب إنسانيتها وأنوثتها وشخصيتها.

هذه الثقافة الاستهلاكية ساهمت في طغيان الجسد، وإثارة الشهوات، والتركيز على المظاهر على حساب المضمون والمحتوى؛ بل وعلى حساب الدور الحقيقي الذي يجب أن تلعبه المرأة في الحياة، وهو ما يثير مجموعة من

الأسئلة عن التركيز غير الطبيعي لحضور الجسد وغياب أو تغييب العقل عند المرأة المعاصرة.

ولاشك أن ذلك يرتبط بصورة مباشرة في إنجاح الثقافة الاستهلاكية على مستوى المفاهيم والسلوك، حتى تستطيع (ثقافة العولمة) تكريس النزعة الاستهلاكية في كل المجتمعات المعاصرة.

ولذلك يستخدم (جسد المرأة) كعامل جذب للزبائن في كل شيء؛ باعتبار أن ذلك من أنجح الوسائل لتسويق كل ما يرتبط بالسلع والمنتجات الاستهلاكية!

والمقلق في الموضوع أن هذه الصناعة الغربية لجسد المرأة قد تحوّل إلى نوع من التطور والحداثة والتنوير في حياة المرأة المعاصرة؛ في حين أن هذه الصناعة السيئة الصيت تعدّ من أبرز مساوئ الحضارة المادية والتي يجب أن تُسَاءل عمَّا حقّقه هذا (التطور) وهذا (التحديث) من إيجابيات في مسيرة المرأة المعاصرة!

والحقيقة هي أن (صناعة الجسد) قد تحوّلت إلى صناعة عالمية تستهدف توظيف مفاتن المرأة لصالح الاقتصاد؛ وهو ما يعبّر عن ثقافة نفعية، واستغلال سيئ لطبيعة المرأة الأنثوية.

إن على المرأة المسلمة إدراك مخاطر (صناعة الجسد) وأن هذا من مساوئ العولمة، وأن عليها المحافظة على كرامتها وشخصيتها الإنسانية، وأن المرأة -في نظر الإسلام-

كائن إنساني لا يمكن اختزاله في (الجسد) وإنما هو روح وجسد، وأن لكل منهما وظائفه وأدواره، ولا يجوز استثماره أو توظيفه إلاّ فيما شرّعه الله عزّ وجلّ. كما أن من المهم لكل امرأة مسلمة أن ترفض التحوّل إلى سلعة يمكن تسويقها؛ بَيْدَ أن (الثقافة الاستهلاكية) قد حوّلت المرأة إلى أداة لزيادة المنفعة المادية عبر التسويق والإعلام والدعاية. ومن جهة أخرى تعتبر المرأة هدفاً لإقناعها بشراء المنتجات الاستهلاكية.

أما الإسلام فهو ينظر إلى المرأة ككائن إنساني محترم، وقد حُدِّدَ لها ما يجب أن تقوم به من أدوار، وما لا يجوز لها أن تمارسه من أفعال لا تنسجم مع شخصيتها الإنسانية، وطبيعتها الأنثوية.

٣ـ صناعة الاستنساخ الثقافي:

العولمة الثقافية تشير -فيما تشير إليه- إلى عملية استنساخ ثقافية للرؤية الغربية -وبخاصة الأمريكية- في مختلف القضايا الثقافية، وتوزيع هذه النسخ المستنسخة إلى مختلف أنحاء العالم لتطبيقها بغض النظر عما إذا كانت هذه الثقافة المعولمة صالحة لكل مجتمع وكل حضارة أم أنها ضارة وغير مفيدة لبعض المجتمعات البشرية.

وتبدو عملية (الاستنساخ الثقافي) لرؤية العولمة للمرأة من أوضح الأمثلة على عملية الاستنساخ المطلوب

توزيعها في كل مكان وذلك لوضعها موضع التطبيق وليس النظر أو القراءة أو التثقيف!

وهو ما يعني إلغاء (الخصوصية)، والدخول في عالم العولمة، والاندماج الكلي في (الآخر) بحيث يكون تفكيره هو تفكيرنا، ومفاهيمه هي مفاهيمنا، وقيمه هي قيمنا، وثقافته هي ثقافتنا، وسلوكه هو سلوكنا... إنه الذوبان الكلي والكامل في (ثقافة العولمة) والقبول بعملية الاستنساخ الثقافي بدون أية شروط!

وفيما يخص (المرأة) يُراد استنساخ النموذج الغربي للمرأة في عالمنا العربي والإسلامي؛ بحيث تتحول (المرأة المسلمة) إلى امرأة مستنسخة للمرأة الغربية في التفكير والفكر، وفي الأخلاق والسلوك، وفي السفور والتعرّي، وفي الشذوذ والتمرّد... وباختصار: في مسايرة المرأة الغربية في كل شيء!

وتعمل كل أجهزة الغرب وماكنته الإعلامية الضخمة في (صناعة الاستنساخ الثقافي) لإقناع المرأة المسلمة بأنها لن تكون متقدّمة وعصرية ومتحضرة إلاّ باستنساخ ثقافة المرأة الغربية وتقليدها في كل شيء!

والمشكلة أن (العولمة الثقافية) تصرّ على اعتبار أن التغريب هو المعيار الوحيد للحداثة والعصرنة ورفض أي نموذج آخر لثقافة المرأة؛ ونحن وإن كنا لا نرفض الجوانب

الإيجابية للعولمة، أو ما حققته المرأة الغربية من تقدّم علمي ومكاسب ثقافية واجتماعية واقتصادية؛ إلاّ أننا نرفض كل ما يتعارض مع قيمنا الدينية، وثوابت ثقافتنا الإسلامية.

ولا يمكن أن تنتج عملية (الاستنساخ الثقافي) إلاّ المزيد من التشوهات الثقافية التي تؤدي إلى تدني فاعليتها، وتقلص تأثيرها.

والمشكلة الخطيرة فيما يتعلق بتعميم (الاستنساخ الثقافي) فيما يخصّ شؤون المرأة أنها تركّز في خطابها ومضمونها الموجّه للعالمين العربي والإسلامي على القضايا الشكلية والمظهرية، وعلى السلوكيات المنحرفة؛ في حين لا ترى اهتماماً يُذكَر بالقضايا الحيوية للمرأة، أو قضايا المشاركة في صناعة التقدّم والتطوّر الحضاري.

كل ذلك بهدف إشاعة (الثقافة الاستهلاكية) بمفهومها الشامل، وزيادة مساحة التقليد للآخر الغربي في سبيل زيادة التأثير النفسي على المرأة المسلمة لكي تكون مهيأة لتقبُّل النموذج الغربي للمرأة.

إلاّ أن ما يجب أن تدركه المرأة المسلمة أن كثيراً من العناوين المثارة حول المرأة إنما تعالج مشاكل للمرأة الغربية، وهو ما يضع إشكالية حقيقية أمام تعميم المفاهيم الغربية عن المرأة؛ إذ إنه لا يمكن تعميم الرؤية الغربية لقضايا المرأة على كل النساء وفي كل المجتمعات؛ بَيْدَ أن المرأة المسلمة لها

قيمها وأخلاقها وعاداتها وثقافتها النابعة من التزامها بالدين الإسلامي الحنيف.

ولذلك تواجه عملية تعميم الرؤية الغربية حول المرأة ممانعة قوية في العالمين العربي والإسلامي رغم نجاحها في كثير من المجتمعات غير الإسلامية، لأن (المرأة المسلمة) ملزمة بالتقيُّد بما يفرضه عليها دينها من واجبات وفرائض؛ كما أن لها ثقافتها وبيئتها المختلفة عن ثقافة وبيئة الغرب.



المرأة والتعامل مع ثقافة العصر

أبرز سؤال يطرح نفسه في هذا الموضوع هو: كيف يجب أن تتفاعل المرأة المسلمة مع ثقافة العصر؟ وكيف ينبغي أن تتواصل مع الثقافة المعاصرة بصورة إيجابية؟

للإجابة على هذا التساؤل بشيء من التفصيل لابد من التركيز على النقاط التالية:

١- دراسة الثقافة الإسلامية:

الخطوة الأولى والرئيسة أمام (المرأة المسلمة) هو دراسة الثقافة الإسلامية دراسة عميقة وشاملة لكل أبعاد وخصائص ومميزات الثقافة الإسلامية.

وقد يثور تساؤل هنا وهو: ما ربط دراسة الثقافة الإسلامية بالتعامل مع ثقافة العصر؟

والجواب: إن الربط قائم ومهم وضروري، بَيْدَ أن على كل من يريد التعامل مع ثقافة العصر عليه أولاً

استيعاب ثقافته الإسلامية حتى يكون متحصّناً أمام المنظومات الثقافية الوافدة علينا من الأرض والسماء، والبحر والبر، وعبر الاسلاك ومن دون أي أسلاك أيضاً!

فثقافة أي مجتمع تعبّر عن الهوية والتاريخ، والماضي والحاضر، والعقيدة والسلوك لذلك المجتمع.

ومن ثم، فإن دراسة الثقافة الإسلامية مهم وضروري ومطلوب لكل من الرجل والمرأة، فالوعي بالثقافة الإسلامية يجعل المرأة -كما الرجل- منفعلة ومتفاعلة مع قيمها ومبادئها ومثلها وأخلاقها الإسلامية كما يدفعها نحو الالتزام والتمسك بكل ما جاءت به الثقافة الإسلامية الأصيلة.

والثقافة الإسلامية هي هويتنا، وهي حصننا المنيع أمام الموجات العاتية من الثقافات الوافدة علينا؛ وبالتالي فإن من واجب كل مسلمة -كما كل مسلم- أن تدرس الثقافة الإسلامية بعمق وتمعُّن وفهم ناضج، وأن تتجاوب مع واجباتها كمسلمة في تطبيق ما عليها من فرائض والتزامات شرعية، واجتناب ما حرّمه الله عزّ وجلّ من أقوال وأفعال وسلوك.

وحينما تكون (المرأة المسلمة) عالمة بثقافتها الإسلامية، عاملة بواجباتها الدينية، متمسّكة بثوابت العقيدة والشريعة، محافظة على عفتها وحيائها وحجابها؛ عندئذٍ يمكن للمرأة المسلمة أن تتعامل مع ثقافة العصر تعامل الناقد لها، العارف

بثغراتها، البصير بنقاط الضعف والقوة فيها.

ولا مجال بعد ذلك للخوف على (المرأة المسلمة) من الثقافة الغربية التي تركّز على كل ما هو مادي، وتتجاهل كل ما هو روحي وميتافيزيقي مما جعل (المرأة الغربية) تعيش في ضياع وشقاء وتعاسة. وإذا كانت الثقافة الغربية قد حققت للمرأة الغربية تقدّماً اقتصادياً ومكاسب علمية إلاّ أنها في نفس الوقت جعلتها تعيش في فراغ روحي، وتحلل أخلاقي، مما سَبَّب لها أزمات نفسية أخذت تتراكم وتتزايد بصورة سريعة، مما جعل (المرأة الغربية) تتجه نحو الانتحار للهروب من واقع الضياع والتعاسة والشقاء!

وعلى هذا، فوعي (المرأة المسلمة) بثقافتها، وبما عليها من واجبات والتزامات، وبما يجب عليها القيام به من أدوار ومسؤوليات، يجعلها أكثر قدرة على التمسك بدينها وبعقيدتها، وأكثر فهماً في التمييز بين الثقافة السليمة والثقافة السقيمة، وهذا هو الحجر الأساس كي لا تقع (المرأة المسلمة) ضحية الانبهار بالثقافة الغربية التي تتعارض في جوانب منها مع الثقافة الإسلامية.

ولعل أبرز ما يميز الثقافة الإسلامية عن الثقافة الغربية أنها توازن بين الدنيا والآخرة، بين الروح والمادة، بين العلم والإيمان. كما تمزج العلم والمعرفة بالأخلاق والتربية والسلوك القويم؛ وبالتالي فإن ذلك ينعكس بدوره على سلوكيات الفرد والمجتمع المسلم؛ فالثقافة الإسلامية ما هي إلاّ تعبير عن شخصية وهوية هذه الأمة.

والتزام (المرأة المسلمة) بتلك الهوية يجعلها، في منأى من التأثر السلبي بما تحمله الثقافة الغربية من مفاهيم غربية أبعد ما تكون عن بيئتنا وثقافتنا الإسلامية.

٢- تفعيل دور المرأة الثقافي:

في زحمة المنظومات الثقافية والإنتاج المتعاظم في عالم الفكر والثقافة، وتسويق الثقافة الغربية في مجتمعاتنا الإسلامية تبدو الحاجة ماسة جدًّا لامتلاك المرأة المسلمة الوعي والرشد الثقافي كي تتمكّن من التمييز بين ما هو مفيد أو غير مفيد من الثقافة المعاصرة.

ولا تنتهي مهمة (المرأة المسلمة) عند ذلك، بل يجب على كل امرأة مثقّفة أن تمارس دور الإنسان المثقّف لتنوير المجتمع بالثقافة الإسلامية ومواجهة مخاطر الثقافة الغربية. وهذا يعني أن على كل امرأة مثقّفة أن تساهم في تقديم البديل الثقافي لكل ما يطرح في سوق الثقافة المعاصرة من قبيل: القيم والمثل، الأفكار والنظريات، السلوك والأخلاق، الآداب والمعارف، الفنون المختلفة... إلخ.

ولاشك أن تقديم البديل الثقافي لما يرتبط بقضايا المرأة مهمة في غاية الصعوبة؛ إلاّ أنه بتضافر الجهود، والاستفادة من الإمكانات المتاحة، وممارسة المرأة لدورها، سيساهم بصورة فاعلة في تقديم أفكار جديدة، ومعالجات ثقافية للقضايا المعاصرة مما يُمكّن المرأة المعاصرة من أن تحافظ على ثقافتها وأخلاقها وقيمها.

ومن المهم للغاية تفعيل دور المرأة في المجال الثقافي وخصوصاً ما يرتبط بقضايا المرأة كي تكون مساهمة في صناعة رؤية متكاملة لما يجب أن تكون عليه (المرأة المسلمة) في الوقت المعاصر.

ولتعلم كل امرأة أن كل عمل صالح تقوم به ستثاب عليه بالأجر الجزيل في الآخرة، والحياة الطيبة في الدنيا، يقول تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**(١).

ويتحدّث القرآن الكريم أيضاً عن أن المرأة كالرجل في القيام بالأعمال الصالحة، وامتلاكها القابلية والإمكانية للقيام بما يقوم به الرجل من أعمال صالحة، إذ يقول تعالى: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**(٢).

ومن الأعمال الصالحة هو تنوير المجتمع بالثقافة الإسلامية

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

الأصيلة، وإنماء الوعي في الوسط النسائي، وإقناع المرأة المسلمة بالقيم والأخلاق الإسلامية، والقيام بدور الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بشرط توافر شروطه، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ولا يصح أن تنكفئ المرأة على ذاتها، وتبتعد عن ممارسة أدوارها، وتنعزل عن القيام بواجباتها، فإن ذلك يفسح المجال للثقافة الوافدة أن تؤثر في (ثقافة الفتيات) بصورة سلبية.

فالمرأة المسلمة المثقّفة تملك من الطاقات والإمكانات والقابليات ما يجعلها مؤهلة للقيام بأدوار مختلفة، ومهام متنوِّعة بحيث تساهم في صياغة (ثقافة جديدة) تملك من التأثير والإقناع ما يجعل المرأة المسلمة ملتزمة بدينها، ومحافظة على حجابها، ومتمسكة بأخلاقها وآدابها. وما على (المرأة المسلمة) إلاّ أن تثق بنفسها، وتتعرف على قدراتها، وتستثمر مواهبها على خير وجه كي تكون مبدعة ومتميزة في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة والثقافة.

ومن جهة أخرى فإن تفعيل دور المرأة الثقافي يعمل

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

على إكسابها المزيد من المعارف والأفكار والثقافات ما يجعلها قادرة على التعامل مع الثقافة المعاصرة بوعي ونضج، ويكسبها القدرة على نقد الثقافات والأفكار غير الملائمة لثقافتنا وأخلاقنا وقيمنا.

أما هبوط مستوى الثقافة عند المرأة المسلمة وتدنّي وعيها يجعلها تنهزم وبسرعة أمام الثقافة الغربية التي تتميز بالإثارة والإغراء والاستهلاك.

وبناءً عليه، يجب أن نُفعِّل دور المرأة الثقافي، ونفسح المجال لها كي تساهم في العطاء المعرفي والثقافي، وتقوم بما تستطيع من أدوار ومهام تتناسب مع طبيعتها الأنثوية؛ فإن ذلك خير ضمان كي تحافظ (المرأة المسلمة) على ثقافتها ودينها وأخلاقها.

٣- الاستفادة من الثقافة المعاصرة:

تتكون الثقافة المعاصرة من عدة روافد ومنابع وقنوات ثقافية تشكل بمجموعها (الثقافة الحديثة)، وقد كان للتراكم المعرفي والثقافي الأثر البارز في وصول الثقافة المعاصرة إلى ما توصلت إليه من نظريات وأفكار ومعلومات وإبداعات ساهمت بمجموعها في إحراز قفزات ثقافية نوعية مما أحدث نقلة كيفية وكمية في عالم الثقافة والمعرفة.

وإذا كان للثقافة المعاصرة سلبيات لا تخفى على كل متابع لما تنتجه من أفكار ونظريات ومفاهيم جديدة -وقد أوضحنا

فيما سبق جزءاً منها- إلاّ أن لها أيضاً إيجابيات كثيرة ومفيدة، وهو ما يجب الاستفادة منها إذ «**الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق**»[1] كما قال الإمام علي عليه السلام، وقال عليه السلام أيضاً: «**خذ الحكمة أنّى كانت**»[2].

ولا يصح بأي حال من الاحوال أن تحجب سلبيات (الثقافة المعاصرة) إيجابياتها، أو نمارس التعميم الخاطئ في النظرة إلى كل ما تنتجه الثقافة المعاصرة على أنه شيء مرفوض ومخالف للدين والقيم؛ بَيْدَ أن من الحكمة أن نشخص بعقل مفتوح ما تنتجه (الثقافة المعاصرة)، ونميز بين ما يفيدنا وما يضرنا، أو لا يتناسب مع ثقافتنا الإسلامية أو يتعارض معها. وما عدا ذلك فلا يوجد أي مانع من الاستفادة مما تنتجه البشرية من ثقافة تخدم تطوّر حياتنا، وتنمّي وعينا، وتزيد من قدرتنا على التفاعل مع كل جديد في حياتنا المعاصرة.

والمرأة -كما الرجل- مطالبة بالتفاعل الإيجابي مع إيجابيات الثقافة المعاصرة؛ بل وتوظيفها لصالح ديننا وثقافتنا وبيئتنا.

والمشكل في الموضوع هو إذا ما أخذت (المرأة المسلمة) سلبيات الثقافة المعاصرة؛ كالانجرار وراء ثقافة الاستهلاك، أو الاقتناع بثقافة السفور والتعرّي، أو التقليد

---

(١) نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت - لبنان، ج٤، ص٦٧٨، رقم ٨٠.
(٢) نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت - لبنان، ج٤، ص٦٧٨، رقم ٧٩.

الأعمى لسلوكيات (المرأة الغربية) الخاطئة، أو الانفتاح بدون أية ضوابط شرعية أو أخلاقية... إلخ. وهذا ما يجب أن تحذر منه (المرأة المسلمة) وأن ترفضه رفضاً قاطعاً لأنه يتناقض مع الثقافة الإسلامية.

إلاّ أنه من جهة أخرى ينبغي لكل امرأة مسلمة أن تستفيد من إيجابيات الثقافة المعاصرة وخصوصاً فيما تنتجه من علوم ومعارف ساهمت في التقدّم والتطوّر العلمي والتكنولوجي والتقني. فتعاليم الإسلام الحنيف تحثّ كل مسلم ومسلمة على التعلّم واكتساب العلم والمعرفة، يقول الرسول الأعظم محمد ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»[1].

ولا يجوز أن نبقى مجرّد مستهلكين لما تنتجه (الثقافة المعاصرة) بل يجب أن نساهم في الإنتاج والعطاء والإبداع، كما لا يكفي أن نقتصر على معرفة نتائج التقدّم العلمي، أو كيفية التعامل مع التطوّر التكنولوجي والتقني الحديث؛ بل يجب أن نتعلم أسرار وقوانين وقواعد التقدّم العلمي كي نبدع ونطور في مختلف المعارف والعلوم.

والمرأة تستطيع أن تساهم بفاعلية ليس في الاستفادة من الثقافة الحديثة فحسب، بل والإبداع واستثمار الثقافة

---

(١) ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ، ج٥، ص٢٠٧١، رقم ١٣٧٤٥.

المعاصرة في تطوير مجتمعاتنا، وزيادة الوعي في الساحة الاجتماعية، والقضاء على الأمية الحديثة فضلاً عن الأمية بالمفهوم القديم.

لقد آن الأوان للمرأة المسلمة أن تخطو خطوات متقدّمة في طريق الإبداع والعطاء والإنتاج، وأن تستفيد من إنجازات (الثقافة المعاصرة)، وأن تهتم بجمال العقل قبل جمال الشكل، وبعطاء العقل قبل عطاء الجسد؛ وكما قال الإمام علي عليه السلام: «**الزينة بحسن الصواب لا بحسن الثياب**»[(١)]، وقوله عليه السلام أيضاً: «**زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر**»[(٢)].

وعلى المرأة المسلمة أن تساهم بفاعلية إلى جنب الرجل المسلم في تطوير المعارف والعلوم، وفي العطاء في كل المجالات، وفي القيام بما تستطيع من مهام وأدوار مختلفة؛ فالمرأة شقيقة الرجل فقد روي عن الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله قوله: «**إن النساء شقائق الرجال**»[(٣)].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

---

(١) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٠٥، رقم ٨٠٠٤.
(٢) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٠٥، رقم ٨٠٠٥.
(٣) كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ج١٦، ص٤٠٧، رقم الحديث ٤٥١٣١.

ثبت المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.
٢ـ ابن أبي طالب، الإمام علي، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣ـ **حماد**، سهيلة زين العابدين، **المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة**، الناشر: مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
٤ـ **الري شهري**، محمد، **ميزان الحكمة**، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
٥ـ **القشيري النيسابوري**، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
٦ـ **الهندي**، علاء الدين علي المتقي، **كنز العمال**، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٧ـ **مجلة العلوم والتقنية**، الرياض، العدد ٦٥، محرم ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨ـ **مجلة اليمامة**، الرياض، العدد ١٤٤٩، تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٤١٧هـ.

٩ـ **صحيفة الحياة**، لندن، التاريخ ١٢/ ٦/ ١٤١٦هـ.

١٠ـ **صحيفة الوطن السعودية**، أبها، العدد ٩٧٦، تاريخ ٢/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢/ ٦/ ٢٠٠٣هـ.

المحتويات

صدر للمؤلف

١ـ الشخصية الناجحة.
٢ـ الصعود إلى القمة.
٣ـ شرعية الاختلاف.. دراسة تأصيلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي.
٤ـ فلسفة الفكر الإسلامي.. قراءة جديدة لأهم الأصول الفكرية في الإسلام.
٥ـ الشباب.. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل.
٦ـ الاجتهاد والتجديد.
٧ـ الحوار الإسلامي ـ الإسلامي.. رؤية من أجل إنماء السلم الأهلي.
٨ـ ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام.
٩ـ مسائل التجديد.
١٠ـ خصائص الشباب.. من أجل أن يعرف الشباب أنفسهم.
١١ـ المرأة في زمن متغيّر (بين يديك).

عنوان المؤلف

البريد العادي: المملكة العربية السعودية

المنطقة الشرقية

ص. ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١

البريد الإلكتروني: Alyousif@Alyousif.org

Alyousif٥٠@Hotmail.com

الموقع على الإنترنت: www. Alyousif.org

الهاتف المحمول: ٠٥٣٨٤٤٩٩١٠



بدأت تتغير في حياتنا المعاصرة الكثير من القضايا والأمـور، وأصـبح التغـير سمـة بارزة من سمات هذا العصر، ولم يقتصر التغير والتغيير على جانب واحد من جـوانب الحياة، بـل شمـل مختـلف الجوانب، وقـد أدت هذه المتغيرات إلى تغيرات سلوكية وثقافية وفكرية وحياتية شملت الرجل والمرأة، والشاب والشيخ، والطفل والمراهق على حد سواء.

والمـرأة المسلمة في ظـل هـذا الواقع الجديـد تواجـه الكثـير مـن التحديـات الجديدة، والمزيد من الفرص المكتسبات التي يجب العمل على استثمارها، ولكن ذلك يتطلب فهم المتغيرات أولاً، ومن ثم امتلاك القدرة على التعامل معها بذكاء.

ويستعـرض هـذا الكتاب أهـم الأدوار الـرئيسـية التـي يمكــن للمـرأة المسلمة الملتـزمة القيام بها، كما يشير إلى أبرز التحديـات التـي تواجــه المـرأة المسلمة ف... تداعياتها ... الثقافة ... وشؤونها

